

الأستاذ عمر عروي جامعة ابن خلدون - تيارت - الجزائر

● ملخص:

إنّ النصّ الأدبي يوصف بأنه خطاب يفترض متكلما ومتلقيا، والخطاب من وجهة نظر لسانية هو ما ذهب إليه اللساني الفرنسي إ. بينفنيست EMILE BEN VENISTE (1902 - 1976) حينما أقرّ بأن الخطاب هو كل تلفظ يفترض متحدثاً وسامعاً تكون للطرف الأول نية التأثير في الطرف الثاني بشكل من الأشكال، فكل خطاب يجب أن يتسم بثلاثية تداولية تحدد هويته في ظل عملية التبليغ والتواصل، ونحن حينما نمنع الفكر ونستنطق موروثنا البلاغي العربي نجده يزخر بآليات قوية في تحليل الخطابات المختلفة كالخطاب اللغوي والخطاب الأدبي والخطاب الفلسفي والخطاب الديني.. ولما كان موضوع علم البلاغة هو البحث في المبادئ التي تقوم عليها الظواهر التعبيرية من خلال مقارنة النصوص وفهمها للكشف عن مضامينها الفنية والجمالية، كانت دراساتي تبحث في قضايا البلاغة التعليمية، ومدى تذوقها لدى طلابنا في ظل المناهج التعليمية الحديثة، وقدرتها على توليد أفكار ومعاني النص وتدخّل في ذلك آثار الكلام والآثار السياقية والأيدولوجية، والجمالية الفنية. لرد الاعتبار للبلاغة العربية وحسن توظيفها في تحليل الخطابات الحديثة، من هنا كانت إشكالية الموضوع: هل نستطيع أن نفهم النص الأدبي بمعزل عن جمالياته وبلاغته؟ وهل البلاغة فنّ أم ذوق؟ وهل هي طريقة أسلوبية توصلنا إلى خبايا النص الجمالية والفنية أم هي غاية في حدّ ذاتها؟ كيف تتموقع البلاغة العربية في ظل مبادئ التعليمية؟ وما أثر المناهج الحديثة في تطوير الدرس البلاغي في الجزائر؟ هذه

أسئلة وأخرى تقوم هذه الورقة محاورتها للكشف عن كل ما يعيق عملية تعليمية البلاغة في أرقى مستوياتها عبر مراحل التعليم الجزائرية.

البلاغة والنص:

إنَّ أشرف العلوم، وأجلّها تلك العلوم المتصلة بالقرآن الكريم اتصالاً وثيقاً تهدف في نتائجها إلى معرفة ما ينضوي عليه الأسلوب القرآني البديع من كنوز لغوية وعلمية وفقهية ولاسيما علم البلاغة، إذ يميّز هذا العلم بسموّه ، وعلوّ قدره ، ورفعة شأنه، لأنّ مدار البحث فيه يبرز وجه الإعجاز البياني للقرآن الكريم .

ولما كان علم البلاغة يهدف إلى تذوق النص تذوقاً يخدم موضوعه ويظهر معناه من خلال الغوص في أعماق بعيدة في معاني النص ودلالاته البلاغية التي تثبت جمال الكلام اللغوي والبلاغي البياني، من هنا كانت الأهمية الخطيرة لفنون البلاغة العربية في استجلاء ما خفي من درر، واستكناه جماليات النص، وإبداعاته الخلاقة في التأثير على نفسية المتلقي.

البلاغة لغةٌ : الوصول إلى الشيء ، ومنه أُخِذَتْ (البلاغةُ التي يُمدَحُ بها الفصيح اللسان ؛ لأنه يبلغ بها ما يريد) (1)

واصطلاحاً : لا تتجاوز ذلك؛ فهي إهاء المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ (2) . فنلاحظ اتصالها الوثيق بالمعنى، وهذا ما يتحد به البحث البلاغي مع

¹ / أبو الحسين أحمد بن فارس (ت395هـ) ، مقاييس اللغة ، ج1/301 ، تح : عبد السلام هارون ، دار الكتب العلمية.

² / ينظر : عز الدين التنوخي، تهذيب الإيضاح، ج3/4 ، (بهامش الإيضاح للقزويني)، مط الجامعة السورية، دمشق، 1369هـ - 1950م ، السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص31 - 32 ، ط13 ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، 1383هـ ، 1963م .

الدلالي، لكن البلاغة تركز على المعنى المؤثر في النفس ، والدلالة تعنى به وبغيره من المعاني التي لا يراد من بحثها بيان قضية التأثير في النفس وإمتاعها .

وبلاغة تبحث فيما ينبغي أن يكون عليه الكلام، من: التعبير الجميل، وطرق أدائه، وقوانينه، وذلك ما يظهر مما اعتادوا بحثه فيها تحت أقسام المعاني ، من: الخبر والإنشاء (وتعلقهما بالمخاطب وحاله) ، وإيراد الكلام على مقتضى الحال، وفي البيان من أداء المعنى بطرق مختلفة في الوضوح والتأثير، وفي البديع من التحسين التكميلي للكلام المنشأ فوق ما سبق. وهذا ما تتضمنه الأبحاث البلاغية الحديثة المتخذة منهجاً آخر للتقسيم، وذلك بتناول: المفردة، والجملة والعبارة، والسياق، ودراسة موسيقى النص، وغيرها⁽³⁾. فموضوع البلاغة هو النص المنشأ، حيث تدرس القيم التعبيرية والمعنوية فيه .

إنّ البلاغة فنّ أدبي، ينضح الذوق، ويصقل العاطفة، وينمي الذائقة الفنية لدى المتلقي، وهي ليست من العلوم المجردة التي توظف العقل، أو القياس المنطقي، فالطبع الغالب في البلاغة هو الطابع الوجداني الفني وبالتالي كانت صلتها بالادب صلة وثيقة، فمن خلالها تنكشف جماليات النص، و قيمه الفنية والإبداعية وتبرز المفاضلة بين تعبير وتعبير، أو المفاضلة بين أديب وأديب، وبالتالي عليها أن تتجاوز حدود اللفظ أو الجملة إلى دائرة أوسع قوامها النص، وهي تعني في العرف البلاغي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، والأسلوب البلاغي هو بنية لغوية دلالية مباشرة وغير مباشرة يحمل وظائف الإثارة والإمتاع في الوقت الذي يحمل وظيفة التوصيل والإبلاغ والإفادة بنقل الأفكار... ولهذا فوظيفة الأسلوب البلاغي ذات وجوه متعددة؛ بعكس الأسلوب العادي بين الناس؛ ومن ثم تتجاوز الأسلوب

³ / ينظر: الأستاذ أحمد الشايب ، الأسلوب، ص35 فما بعدها ، ط7 ، مط السعادة ، مصر ، 1396هـ = 1976م .

الأدبي في الشعر والنثر؛ وإن اقترب في وظيفته مع الأسلوب البلاغي من بعض الوجوه، وهو ظاهرة بلاغية تجمع بين عناصر الأدب والفن واللغة والحياة في بنية فنية مثيرة للعاطفة والوجدان والعقل فالإحساس بالجمال من خلال الغوص في رحاب النص هو استجابة روحية وموضوعية لعناصر الجمال في الأشياء والظواهر. فما هي إذن سبل تطوير تعليمية البلاغة ؟ وكيف نسمو بأذواق طلابنا لتذوق جماليات النص؟ وما مناهج التعليم الموافقة لهذا التوجه؟ وربما السؤال الذي يجب أن يطرح نفسه هو ما الذي نحن بصدد درسة بلاغته ؟ واستكناه جمالياته الفنية والإبداعية ؟

إننا أمام النص الأدبي الذي يحفل دائما بمئاته القيم الرائقة التي يسعى من خلالها الناص إلى مخاطبة وجدان المتلقي وزعزعة عواطفه بانتهاج أساليب متنوعة، ويعتبر النص الأدبي منبع دلالات عديدة ومتنوعة فكل شيء فيه جدير أن يكون دليلاً. والبناء العام للنص يشكل أحد العناصر الأساسية التي تكوّن النصوص الأدبية بما تحمله من أبعاد دلالية ورمزية، يعتني المبدع في نسجها وهيكلتها بما اعتناء، من أجل الإيجاء بها إلى معاني ودلالات خاصة تنفرع عنها منحة إبداعية النص.

مفهوم النص وحدوده المعرفية:

إن مفهوم النصّ في التراث العربي من المفاهيم ذات الدلالات المتعدّدة؛ فما أوردته المعجمات العربية تحت مادّة (ن ص ص) تدور في فلك المعنى اللغويّ للنصّ، من دون الحديث عن المعنى الاصطلاحيّ للكلمة، إلاّ إشارات بسيطة كالتّي نراها عند ابن منظور (ت711هـ) في لسان العرب؛ إذ يقول: ((قول الفقهاء: نصّ

القرآن: ونصّ السنة، أي ما يدلّ ظاهر لفظهما عليه من الأحكام))⁽⁴⁾. والنصّ عند الفراهيديّ (ت175هـ) هو الرفع والظهور يقول ((نصّصت الحديث إلى فلان نصّا، أي رفعتّه،...، والمنصّة التي تقعد عليها العروس... والماشطة تنصّ العروس أي تقعدّها على المنصّة، وهي تنصّ، أي تقعد عليها أو تشرف لترى من بين النساء))⁽⁵⁾، يتبيّن من هذا أنّ معنى النصّ هو الرفع والارتفاع؛ فرفع النصّ يُوجب إعادته إلى أصله عن طريق سلسلة رواته. والمنصّة مكان مرتفع تجلس عليها العروس لترى، ومنه أيضا ((نصّت الظبية جيدها رفعتّه))⁽⁶⁾.

والنصّ الأدبي نسج تتخلله جملة من الوحدات الدالة والمفاهيم القائمة، وهو لا يقع في المستوى نفسه الذي تقع فيه الجملة، كما أنه لا يقع موقعها من حيث المفهوم، كما أنّه ذو محتوى دلالي متجانس متكامل ويمتاز بالوضوح، والنصّ يمكن أن يكون منطوقا أو مكتوبا، شعرا كان أو نثرا، أو حوارا أو مسرحيّة كاملة فالنصّ هنا وحدة لغويّة قيد الاستعمال، وليس وحدة نحويّة مثل العبارة والجملة، ولا يحدّد بحجمه وقد يوصّف النصّ بأنّه جملة كبرى؛ أي أنّه وحدة نحويّة أكبر من الجملة لكنّه مرتبط بها وبالتأليف بين الجمل ينتج تكوين وحدات أكبر من وحدات أصغر إنّّه وحدة دلاليّة؛ ووحدة معنى، ومن ثمّ فهو مرتبط بالعبارة أو بالجملة بتحقيق المعنى لا بالشكل أو بالحجم.

4 / ابن منظور (جمال الدين محمّد بن مكرم)؛ لسان العرب؛ دار صادر؛ د ط؛ بيروت 1968؛ مادة (ن ص ص)؛ 7 / 98.

5 / الفراهيديّ (الخليل بن أحمد)؛ كتاب العين، تحقيق د. مهدي المخزوميّ و د. إبراهيم السامرائيّ، دار الشؤون الثقافيّة، بغداد، 1984، مادة (ن ص ص)؛ 7 / 86-87.

6 / ابن منظور: مادة (ن ص ص)؛ 7 / 97.

فالنص إذن، منعكس لثقافة المجتمع بكافة شبكاته المعقدة عبر التاريخ والجغرافية والعلاقات بين الأفراد أي أنه ذاكرة ملخصة للنظام المعرفي للمجتمع. فالنص أيا كان هو مجموعة من العلاقات اللغوية التي تخدم فكرة أو مجموعة أفكار أو مفاهيم قابلة للتفسير والشرح والتأويل مما يمهد لتطويع النص لقراءات جديدة أو تأكيد قراءة ما.

بلاغة النص الأدبي في ضوء تعدد قراءاته:

إن الحديث عن بلاغة النص الأدبي هو عبارة عن الحديث عن اللفظ والمعنى في ذات النص وهناك من النقاد من تعصب للفظ وهناك من فضل المعنى، وهناك من ترك هذا وذاك وقال بالعلاقة القائمة بين اللفظ والمعنى وهي الصورة، وهناك من بحث دلالة الألفاظ في ضوء المعاني. كل ذلك من أجل تقويم النص الأدبي، ومقايسة الفن القولي.

هذه الاعتبارات المختلفة كانت مجالاً حصياً لآراء علماء العروبة والإسلام في النقد فنشأت عنها جملة من المدارس النقدية الملتزمة حيناً، والمتطرفة حيناً آخر، والسائرة بين بعض الأحيان.

لقد أدى هذا التنوع في الآراء، والتعدد في وجهات النظر، إلى تنوع وتعدد المذاهب النقدية القديمة والمعاصرة وبهذا تتأرجح بلاغة النص بين تعدد القراءات للنص الأدبي في تأويل دلالاته المنطوية تحت عباراته ويكون القارئ وحده مكتشفها.

إشكالية الأدب تأتي من طبيعة اللغة ذاتها، أدبية النص، والتي تعمل على توظيف الآلية اللغوية بعيدا عن معناها التداولي البسيط نحو ما يعرف باستكشاف جماليات اللغة عبر المجاز والمجاز عموما هو عملية تطويع لغوي ضمن إطار يتجاوز المعجم وصولاً إلى التسييق بما يضيف على اللفظ رونقاً يخرج من حيز الحقيقة إلى رحابة المجاز الذي يتيح للمفردة الواحدة أن تخدم وظيفة تعبيرية جمالية في آن معاً.

هذه الجمالية التي، وإن كان بإمكانها أن تُسهم في اكتمال المهام التي يتعين أدائها على "نظرية الفن وتاريخه" اللذين هما في طور التجديد وإحداث قطيعة جذرية مع الأعراف العلمية المقررة، إلا أنه لا يمكن لها "أن تدعي لنفسها أنها إبدال منهجي بالتّمَام والكمال". فليست جمالية التلقي "نظرية مستقلة قائمة على بديهيّات تسمح لها بأن تحلّ بمفردها المشكلات التي تواجهها، وإنما هي مشروع منهجي جزئيّ يحتمل أن يقترن بمشاريع أخرى وأن تكتمل حصائله بوساطة هذه المشاريع.

إنّ إنجاز النصّ الأدبي وإزاحته من دائرة الكتابة لا يعنيان أبداً اكتماله على المستوى الفنيّ أولاً وعلى مستوى رحلته التي أنشئ من أجلها؛ أي على المستوى الوظيفي الذي فُدر له، فبعد ذلك تبدأ الرّحلة الحقيقيّة للعمل الأدبيّ بشئى أجناسه، سواء أكان شعراً أم نثراً، قصةً أم رواية وهذه الرّحلة بين النصّ والقراءة هي المرحلة التي ربّما تكون الأصبعب، أو على الأقلّ أصعب من مرحلة الإنجاز وفيها تظهر القدرات الإبداعية للعمل الأدبيّ، وتظهر أيضاً القدرات الإبداعية للمتلقي، وعندها تتبدى إمكانيات عمليات القراءة وتبلور وفق ظروفها الاجتماعيّة والثقافية والإجرائية التي لا علاقة لها بالأدب في كثير من الأحيان ولكنها تكون فاعلة في توجيه القراءة وجهة ذات طبيعة معينة.

ولأنّ النصّ الأدبي مخلوق اجتماعيّ أو مؤسسة اجتماعيّة أدبيّة فإنّ تناول هذه المؤسسة أو هذا المخلوق سوف يخضع بالضرورة -عند التناول- لمجموعة القيم الاجتماعيّة لأنّ المجتمع غير متزّه أو غير نزيه في توجهه نحو النصّ، وهو غير حياديّ لأنه يتسلّح برؤى جاهزة أدبيّاً وثقافياً وأيديولوجياً، سواءً أكان المتناول مختصّاً أم غير مختصّ، وسواءً أكان عميق الرّؤية والرّأي أم سطحيّاً، وسواءً أكان يتناول النصّ لإنشاء جديد عليه أم متسلّياً ينشد الفرحة أو تزجية الفراغ، وهذا ما يجعل دوافع القراءة متعدّدة ويجعل أشكالها وألوانها متباينة مختلفة، وما ينتج عنه من أثر جمالي مرجعه التناسق الجمالي ذي الأبعاد التقابلية، ثم عبّر عنه في التواصل العادي أو الأدبي بمفردات ذات منحنى بلاغي تقابلي عبر الحقائق و المجازات (التراكيب الاستعارية والتشبيهية كما سنبين)، وهي تختزل بذلك تقابل العوالم المادية والمعنوية فيحصل التواصل على هذا الأساس التقابلي المتواضع عليه؛ حيث تتشكل النصوص والخطابات - تبعاً لذلك- وفق ناموس التقابل الكوني، وهذا ما يستدعي اليوم التأسيس لتأويلية تقابلية تستمد بعض أسسها من الدراسات البلاغية فتكون منطلقاً للقراء والمؤولين لفهم النصوص المبنية أصلاً على تقابلات ظاهرية وخفية.

الفنّ والتّجريد:

نقصد بالتجريد تلك القواعد المجردة من سياق الأمثلة النصي، أو القواعد المعيارية التي تحكم طبيعة الموضوع وتحدّ من قيمه الفنية الجمالية، وتجعله في قالب قسري لا ينم عن قراءة جمالية، أما الفن فهو الإبداع الخلاق الذي يتولد عن الذوق السليم للنص في سياقه العام، واستكناه جمالياته الفنية وقيمه الإبداعية التي تنم عن قراءة نموذجية للنص في ضوء النقد الأدبي، ولعلّ الدرس البلاغي في تعليمته اليوم نجد كثيراً من يتناوله في ضوء أمثلة غير معزوة إلى سياقها الفني وعدم ربطها

بسياقها الحالي دونما ذوق سليم للنص، وبالتالي تكون البلاغة عبارة عن قواعد جافة مجردة من كل إبداع فني رائق، وعليه يعزف المتعلمون عن دراستها ، بل يستصعبون درسها وقواعدها لأننا رسخنا فيهم قواعد البلاغة، أما البلاغة فنا فهي عبارة عن حلاوة وطلاوة في استقراء المثال النصي دون عزله، ودونما تقعيد لفنون البلاغة ثم ترسيخ فنيته بتقنيات القراءة السليمة المتفحصمة لجماليات الأسلوب في نسج اللغة؛ واستكناه زخرفة القول، وتحليلية الكلام، الذي تُجلبُ إليه كرائم اللغة من مأنوسٍ صيره الاستعمال فصيحاً، وغريبٍ يصيره الاستعمال مأنوساً؛ وهو محلّ الفصاحة والبلاغة في نمطهما العالي، وهو أيضاً النموذج الذي لو احتذاه المتعلمون لفحلت أساليبهم واستحكمت ملكائهم، مع إتقان القواعد ووفرة المحفوظ.

تعليمية فنون البلاغة:

الطريقة الحالية في تدريس علوم البلاغة تؤدي إلى الإخفاق، في الوصول بالطلبة إلى الغاية المرجوة منها، فالطريقة الحالية تفصل علوم البلاغة عن دروس الأدب، وتعالجها في حصص مستقلة بأسلوب علمي نظري، وتجعل منها قواعد مجردة جافة معزولة عن سياقها الأكبر الذي هو النص، وفوق ما في هذا الفصل من خطأ فني فإنه يشعر الطالب بأن درس البلاغة شيء متكلف، فيقف منه موقف الحيرة والشك في قيمته الأدبية، وليتهم كانوا مع ذلك يتجهون في دراستها اتجاهاً أدبياً ذوقياً، وماذا يكون رأي الطالب في قيمة البلاغة، وهو ينفق وقتاً ومجهوداً مجرد أن يعرف أن في هذه العبارة استعارة أو كناية، وأن هذا استفهام خرج عن معناه الأصل إلى معنى آخر، أو يجهد نفسه في معرفة أي التشبيه وُظف في التركيب وتبدأ رحلته بالحيرة وتنتهي غالباً بالإخفاق، وإن اهتدى إلى الصواب فغالبا لا يتذوق جماليات

هذه الصورة البلاغية، لأنه تعرّف على البلاغة في ضوء قواعد جافة معزولة عن النص. فالواجب ألا يكون للبلاغة درس خاص تشرح فيه قواعدها، وإنما يجب أن تعلم في حصص الأدب وفي خلال نصوصه؛ ليتبين الطلبة منزلتها الرفيعة من الدراسات الأدبية، وليسهل علينا أن نتجه بما دائماً اتجهاً ذوقياً خالصاً لا تشوبه شائبة من علم أو فلسفة.

والطريقة التي تلائم طبيعة البلاغة وعلاج دراستها أن نبدأ بالتدريب الفني مباشرة، بأن نوجه نظر الطلبة إلى نواحي القوة والجمال في النص الأدبي الذي ندرسه في حصة الأدب، ونشترك معهم في تحليله ونقده موازنته بغيره، متجهين في كل هذا اتجهاً أدبياً⁽⁷⁾.

أهداف تدريس البلاغة:

إننا حينما نترع إلى تدريس فنون البلاغة العربية في مدارسنا (الابتدائي والمتوسط والثانوي وحتى الجامعي) إنما نهدف إلى:

- إكتساب آليات القراءة، و فنيات التأويل، للغوص في غياهب النص
- ربط النص بروافده (فهم النص يستوجب استخدام كل الآليات التي تمكننا من استجلاء معناه من نحو و صرف و بلاغة و دلالة ومعجم ..)، وبالتالي فالبلاغة عنصر مهم من عناصر البحث عن المعنى.
- زيادة استمتاعهم بألوان الأدب المختلفة من قصة ومقالة أو مسرحية وذلك عن طريق فهم خصائص كل لون من هذه الألوان وإدراك ما فيها من قيم فنية راقية .

⁷ / من طرق التدريب البلاغي في اللغات الأوروبية أن يطلب إلى التلميذ التعبير عن معنى واحد بصور مختلفة، ليتخبر منها صورة يراها أجمل في نظره وأبلغ في تقديره، وهذا تدريب عملي حسن إذا كان الطالب يملك زمام لغته ويستطيع التصرف فيها.

- تنمية ميلهم إلى القراءة الواسعة كوسيلة من أجمل وانفع الوسائل في قضاء وقت الفراغ.
- تمكين التلاميذ من استعمال اللغة في نقل أفكارهم إلى غيرهم بطريقة تسهل عليهم إدراكها وتمثيلها.
- كسب فنيات النقد الأدبي للنص بموضوعية تحتكم إلى النص وما ينضوي عليه من قيم ترتقي أحيانا و تنزل أحيانا.
- دراسة أعمق للنص الأدبي.
- تمكين التلاميذ من توليد نصوص أدبية تتسم بالجمال في كتاباتهم اليومية.
- تنمية قدرتهم على فهم الأفكار التي اشتملت عليها الآثار الأدبية الخالدة وتذوق ما فيها من جمال .
- نزع الخوف من التلاميذ لقراءة النص التراثي شعرا كان أو نثرا.
- هذه بعض الأهداف التي نصبوا إليها في تدريسنا للبلاغة، و تبقى هناك أهداف أخرى تتولد حين إلقاء الدرس، ولكي يكون الدرس مفعلا و ناجحا يجب مراعاة بعض الأسس العامة أهمها :
- أن البلاغة فطرية في الكلام تلمح صورها في الأحاديث اليومية وليست مقصورة الاستعمال على لغة الأدب إنما يكسبها كل إنسان فيما يكسبه من مواد نموه اللغوي .
- إن الطابع الغالب على درس البلاغة هو الطابع الفني الوجداني، لذا فان الجهد المبذول إنما هو النقد والمفاضلة والتذوق الأدبي وهي إحكام فنية تقضي بالقبح والجمال وليست عقلية تقضي بالخطأ والصواب.

— ينبغي إن تساير البلاغة تطور الحياة وحاجاتها الفنية فلا يقف بحثها عند اللفظ والجملة إنما يتجاوزها إلى الفقرة والقطعة والمقالة والخطبة والقصة والقصيدة وإلى النص كاملا.

طريقة تدريس فنون البلاغة : (8)

يقوم تدريس البلاغة على أسس عامة ينبغي على مدرس البلاغة أن يدركها ويؤمن بها ، ويكون حريصا على تنفيذها ومن أهم هذه الأسس :

— أن تكون البلاغة ذات صلة وثيقة بالنصوص الأدبية والنقد إذ بهذه الصلة نتجه بالبلاغة اتجاهها ذوقيا خالصا ومن الخطأ فصل البلاغة عن الأدب ، لان فصلها يعني معاملتها معاملة النحو في عرض الأمثلة واستنباط القاعدة ، وهذه طريقة غير صالحة في تدريس فن يعتمد الذوق والإحساس .

— أن يتم الوصول إلى موضوعات البلاغة بعد فهم النصوص الأدبية فهما جيدا فالطالب لا يدرك إسرار الجمال في النص إلا بعد فهم دقيق لمعاني النص وصوره الفنية إي إن يخضع النص أولا للقراءة الجيدة ، وفهم المعنى ، والتحليل وعقد الموازنات ، والمقارنات ، ثم تذوق النص وتمثله .

— أن يتمرن الطلبة تمرينا كافيا على الصور البلاغية وخير ما يتدرّب عليه الطلبة آيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، ومختارات من عيون الشعر ، ومختارات من جيد النثر "واخذ المدرسون في تدريس علوم البلاغة تارة بالطريقة الاستنتاجية (الاستقرائية) فيسوقون الأمثلة ويناقشونها ويستنبطون منها مع التلاميذ القاعدة أو بالطريقة القياسية فيذكرون القاعدة أولا ثم يقيسون عليها أمثلة

⁸ / أسمينا قواعد البلاغة بفنون البلاغة لأن هذا المصطلح هو الأصح لقواعدها باعتبار أن للبلاغة فنون تستنبط وليست قواعد تتبع تأسيا بأستاذنا: الدكتور عبد العليم بوفانح حينما أسمى كتابه في البلاغة: فنون البلاغة العربية.

تندرج تحتها." ويذكر بعض المختصين إن الطريقة الاستقرائية أصلح هذه الطرق لتدريس البلاغة وأكثرها فائدة إذ تقدم النصوص إمام الطلبة ويدرس معناها بصورة تفصيلية وتوضح معانيها ويشار إلى ما فيها من نواحي فنية جيء بها لتجسم المعنى أو لتثير إحساسا فنيا بما لها من جرس وإيقاع ثم تصاغ القاعدة بلغة سليمة ، ويستحسن إن لا تكون الأمثلة المستشهد بها في دروس البلاغة من الأمثلة الغريبة ، كما تحتاج بعض اصطلاحات البلاغة إلى عناية خاصة في التوضيح لتصبح معانيها المقصودة مفهومة ويسعى المدرس إلى إظهار ما لدى الطلبة من فهم للأساليب وقدرة على محاكاة الأمثلة بجمل من إنشائهم .

وقد وجد الباحث ومن خلال الدراسات التي أجريت آنفا إن تدريس البلاغة في المستوى الجامعي يتم بطريقة الإلقاء المباشر القائم على القياس إذ يلقي التدريسي القواعد البلاغية ثم يعززها ببعض الأمثلة .

غير إن من الواجب أن يكون الأساس الذي يقوم عليه تدريس البلاغة هو عرض النصوص الأدبية واستنباط ما فيها من النواحي الجمالية ، وجعلها وسائل تعمل في تكوين الذوق الأدبي وإدراك مظاهر الجمال في الكلام البليغ وذلك بتبصير الطلبة بحال النص من نواحي القوة والجمال ، واشتراكهم في تحليله ومن خلال ذلك يلمون بالمصطلحات البلاغية.

ولا بد أن تُراعى في التخطيط لمناهج تعليم فنون البلاغة أبعاد العملية التعليمية: المعلم والمتعلم وطريقة التعليم.

1) المعلم: عليه يستفيد من طرق تعليم اللغات، والوسائل الحديثة في التعليم؛ لتقريب هذه المادة من المتعلمين وتجييبهم فيها، بإلقاء الأساسيات وعرضها بأسلوب مشوق، ومن ثمَّ إلقاء الغايات، والابتعاد قدر الإمكان عن التنظير على حساب التطبيق، وأن ينظر إلى اللغة نظرة شمولية، فلا يعلم البلاغة بمعزل عن النحو

والصرف ولا يعلمها بمعزل عن الدلالة والمعجم، فالنظرة التكاملية للغة تحقق لنا الغاية التي نشدها من تعليم البلاغة.

(2) المتعلم: لا بد أن نميز عند البدء بالتخطيط لمنهج البلاغة ووضع مادته التعليمية بين المتعلم من أبناء اللغة، والمتعلم من الناطقين بغيرها، والمتخصص فيها.

(3) طريقة التعليم⁽⁹⁾: وهي الكيفية التي تسير وفقها عملية التعليم، وتتمارس وتنفذ في قاعة الدرس، ويمكن أن تمتد خارجه.

نموذج لمخطط تعليمي في فن من فنون البلاغة:

يتضمن تعليم فن من فنون البلاغة العربية عدة عروض هي: العرض التقديمي، العرض التعليمي، العرض التطبيقي العرض التجسيدي.

العرض التقديمي: ويتمثل في تقديم الدرس وهو عبارة عن وضعية انطلاق لجلب انتباه المتعلمين، وتشويقهم للدرس المراد تناوله، وفنون التقديم كثيرة جدا، لكل معلم طريقته في اختيار التقديم الذي يناسب المتعلمين، وعلى سبيل المثال لا الحصر حينما يريد المعلم أن يدرس درس التشبيه يقوم بمايلي:

يدخل المعلم - يلقي التحية على المتعلمين - يضع أدواته على المكتب - يخرج مذكرته وأقلامه - يسأل عن الغياب - يكتب التاريخ الهجري والميلادي - يكتب المادة : لغة عربية النشاط: بلاغة عربية الموضوع يتركه فارغا - ثم يلتفت إلى المتعلمين قائلا لهم: ما رأيكم في الجو اليوم؟ كيف هو؟ يجب التلاميذ حسب فهمهم: الجو جميل وهادئ أو الجو مغيوم وممطر - يقول المعلم: لو أردنا تشبيه حالة الجو بحالة الإنسان كيف نعر عن ذلك؟ المتعلمون: الجو الهادئ كالإنسان الحليم الهادئ، أما الجو الممطر كثير الغيوم مثل الإنسان الغاضب - المعلم: كيف أفهم أن عباراتكم تضمنت تشبيها؟ المتعلمون: استعملنا الأداة الكاف وكلمة مثل -

⁹/ ينظر: عبد السلام السيد حامد، مشكلة تعليم النحو العربي، ص354.

المعلم: إذن كيف نفعل إذا أردنا التشبيه؟ المتعلمون: نستعمل أدوات التشبيه-
المعلم: إذن ما هو درسنا اليوم في البلاغة؟ المتعلمون: التشبيه - بعدها يدون المعلم
عنوان الدرس.

ملاحظة: هذا نموذج ومثال لوضعية انطلاق في درس بلاغي موضوعه التشبيه،
ولكل معلم طريقته وأسئلته واستنتاجاته لموضوع الدرس، وتلاحظون أننا استخدمنا
الطريقة الحوارية التي تهدف إلى إشراك كل المتعلمين في استنتاج الدرس وموضوعه،
ويجب التنويه إلى أن هذه الوضعية يجب ألا تتجاوز 10 دقائق باعتبارها تمهيدا فقط
لتناول الدرس، ويجب مراعاة تسلسل الدروس بطرح سؤال أو سؤالين حسب
الحاجة عن الدرس السابق المدروس.

تدوين الأمثلة على السبورة: ويجب هنا مراعاة الشكل التام للمثال مع كتابة
الشاهد بلون مغاير أو جعل تحته سطر.

المثال النموذج:

الأمثلة هي التراكيب التوضيحية التي ينبغي أن تتوفر على العناصر البلاغية
المستهدفة من درس فنون البلاغة، هل هي متنوعة وهادفة وتوجيهية؟ هل هي
قديمة أم معاصرة؟ وهل هناك تطابق وانسجام بينهما وبين بيئة التلميذ ومستواه
اللغوي والعقلي...؟⁽¹⁰⁾.

إن تعليم البلاغة من الوجهة الحديثة، ممارسة واستعمالا، يجب أن يتوفر على
أمثلة حية ونصوص شيقة، يقود الارتياض عليها، لا محالة، إلى تربية الملكة وراثتها
إذ أن هناك أمثلة جافة لا تزيد أسلوب التلميذ إلا تحجرا، وعليه فإن الاهتمام
بالنماذج الأصيلة، والأمثلة الحية التي تربط المتعلم بلغة العصر والحياة، والإكثار
منها، تساعد المتعلم على تحسين تعبيره، وإثراء رصيده اللغوي، وذلك بالتفاعل

¹⁰ / - د/ محمود أحمد السيد، تطوير مناهج تعليم القواعد النحوية، ص: 122-128.

معها، والاقتراب من تراكيبتها وأساليبها ومضامينها، مع مراعاة الاستشهاد بأمثلة مدونة أو غير مدونة من النص الادبي أو التواصلية المدروس لجعل النص كتلة واحدة تدور حولها جميع الوضعيات التعليمية، مع الحرص على تنوع الأمثلة وإثرائها، والتحرر من قيود النماذج التي تضمنتها الكتب المقررة دونما الإخلال بمعاني الأمثلة والشواهد.

العرض التعليمي: ويقدم بطرح أسئلة (طريقة حوارية) بعد قراءة الأمثلة حسب طبيعتها بتناغم أصوتها وأدائها أداء يخدم المعنى من طرف المعلم والمتعلمين ثم تذوق الأمثلة من خلال القراءة الثانية لكل مثال واستنتاج قيمه الفنية والجمالية وما ينضوي عليه من ابداعات وكل هذا من خلال الحوار مع المتعلمين ودفعهم إلى اكتشاف فنون الدرس التعليمي، مع مطالبة التلاميذ بالإتيان بأمثلة وشواهد من عندهم لترسيخ القاعدة، وأي حكم يستنتج يدون على السبورة من طرف المتعلم مع مراعاة التسلسل الفني للقواعد وبعدها حوصلة عامة تطلب من التلاميذ إلقائها شفويا معرفة تحصيلهم للدرس وبعدها تدوين أحكام الدرس.

العرض التطبيقي:

بعدها نستنتج أحكام القاعدة وتدوينها على الكراس، يقوم المعلم بمناقشة التطبيقات المقررة أو المحاضرة من طرف المعلم لخدمة الدرس مع المتعلمين وحل بعض المشكلات الفردية من خلال تتبع تصويبات المتعلمين.

العرض التجسيدي:

وهو ذو أهمية بالغة في ترسيخ الوضعيات التعليمية، ويقوم أساسا باستحضار هذه الفنون البلاغية المدروسة في كل نص يدرس وفي كل مثال مستقبلي يصادف المتعلمين، لتمكين وتجسيد ما درس في درس البلاغة وتذوقها وإخراجها من قسر وجفاف الأمثلة إلى ثراء النص واستخدامها واستثمارها في كتابة التعبير الكتابي.

أخطاء منهجية في تدريس فنون البلاغة:

- 1- عدم التزام المتعلم باللغة العربية الفصحى في أثناء الدرس.
- 2- انعدام التقديم اللائق للدرس البلاغي وانعدام عنصر التشويق له.
- 3- عدم مراعاة مستوى المتعلمين الذهني والعلمي فيخوض في تفصيلات يصعب فهمها
- 4- قصر قواعد البلاغة في درس البلاغة وعدم استعمال فنونها في كل روافد النص الأدبي
- 5- عزل البلاغة عن القواعد النحوية والصرفية والدلالية وعدم ربطها بفروع اللغة العربية الأخرى.
- 6- اكتفاء المعلم بالأمثلة التقليدية التي لا تعطي ثروة لغوية ولا تذوقاً أدبياً.
- 7- تجريد البلاغة من روحها وجفاء قواعدها وبالتالي ترسيخ صعوبتها لدى المتعلمين.
- 8- اتباع طريقة تلقين الفنون البلاغية وعدم محاوره المتعلم في استنتاجها.
- 9- أن يطلب المعلم من الطلاب حفظ القاعدة البلاغية
- 10- عدم استخدام المعلم وسائل متنوعة في الإيضاح والتطبيق إذ تعد الوسائل التعليمية جزءاً لا يتجزأ من المناهج الدراسية، فهي كما تؤكد البحوث والتجارب وسائط تربوية وأدوات توضيحية مفيدة جداً، وبخاصة إذا أحسن المربون اختيارها وتوظيفها⁽¹¹⁾.
- 11- عدم اهتمام المعلم بإعداد الدرس جيداً، وإهمال الجزء التطبيقي
- 12- عدم مطالبة المتعلمين بإنشاء نصوص للتعبير الكتابي تحمل جماليات الأسلوب البلاغي.

ظواهر معيقة في الدرس البلاغي:

لعلنا أمام معضلة كبيرة تتمثل في أن الكثير من النصوص لا تفهم عن طريق الاعتماد على النظام الذي ترتب فيه الجمل فحسب، بل يعتمد على المقام

11 / - د/ عبد الفتاح البجة، أصول تدريس العربية. بين النظرية و الممارسة، المرحلة الأساسية الدنيا، دار الفكر، عمان 2000، ص594.

الذي قيلت فيه، فالمستمع أو القارئ حين يُحدّد - بوعي أو بلا وعي - مرتبة العيّنة اللغوية، يحتاج إلى نوعين من القرائن؛ داخلية وخارجية، فهو لا يستعمل المفاتيح اللغوية فحسب، بل يستعمل كذلك المفاتيح المقامية، فهو يستجيب لغويًا إلى ملامح خاصة تربط المقطع ككلّ، وهي قوالب الترابط المستقلة عن البنية، التي يشار إليها بالاتساق⁽¹²⁾، كما يأخذ بنظر الاعتبار "مقاميًا كلُّ ما يعرف عن البيئة⁽¹³⁾، فمثلا ظاهرة التنغيم التي لها الأثر الواضح والمهم في صياغة المعنى وتوجيه الدلالة، والسّمات الجلييلة في تحديد مقاصد الكلام والتفريق بين وظائف الجمل و الكلمات في التركيب، ومن الشّواهد على ذلك قول الشاعر⁽¹⁴⁾:

ثُمَّ قَالُوا: تُحِبُّهَا؟ قُلْتُ: بَهْرًا! * عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ

إن لطريقة نطق البيت الشعري هذا قيمة دلالية عظيمة فالسامع لا ريب لا يسمع النطق بعلامة الاستفهام في البيت و لكن يفهم دلالة الاستفهام من خلال توج النغم المصاحب لدلالة الاستفهام، هذا و نحن يجب أن نقر هنا أن البيت و الأداء التنغمي له و المؤدي لدلالته المقصودة لم تكن حاضري مجلس عمر بن أبي ربيعة حتى نرى طريقة إلقائه لقصيدته، و لكن نحن أمام نص شعري وخطاب أدبي

¹² / طعيمة رشدي أحمد، مناع محمد السيد: تدريس العربية في التعليم العام، ص: 48.

¹³ / عيمة اللغة العربية: المجلس الأعلى للغة العربية، مجلة فصلية، العدد الأول، ص:

155/154

¹⁴ / لم يذكر سيبويه قائله، وذكر محقق الكتاب البكاء أنّه لعمر بن أبي ربيعة. سيبويه، عمرو

بن عثمان، الكتاب (مؤسسة الرسالة)، ج1، ص404.

ورواية الديوان بلفظ "النَّجْم" بدل "الرَّمْل". ابن أبي ربيعة، عمر، الديوان، المكتبة التجارية،

مصر، 1952م، ص433.

وهو في الخصائص بلفظ "الرَّمْل". ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ج2، ص281.

متمثلاً في قصيدة خالية من الأداء الصوتي فهنا يجب علينا استحضار كل الآليات المساعدة لفهم المقصود و توجيه دلالة التركيب و هنا نعني استحضار القرائن بشقيها، يقول ابن هشام: «ف قيل: "أَتَجَبَّهَا؟"، وقيل: إِنَّه خبر؛ أي: أنت تجبَّها»⁽¹⁵⁾، ويقول الدكتور تمام حسّان: «فقد أغنتِ النّعمة الاستفهاميّة في قوله: "تجبَّها؟" بما لها من صفةٍ وسيلةٍ التعلّيق، عن أداة الاستفهام، فحُدِثَتِ الأداة، وبقي معنى الاستفهام مفهوماً من البيت، وإنصافاً للحقّ هنا لا بدّ أن نشير إلى أنّه يمكن في بيت ابن أبي ربيعة هذا مع تغيّر النّعمة أن يفهم منه معنى التّقرير للتأنيب، أو التّعبير، أو الإلجاء إلى الاعتراف»⁽¹⁶⁾، ومن ذلك أيضاً ظاهرة الوقف إذ أن الأسلوب العربي يعرف أهمية الوقف ودوره في تغيّر المعنى، وفي تراثنا العربي آثار كثيرة تبيّن ذلك، فقد روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنّه قال لرجل معه ناقة: أتبيعها؟ فقال الرجل: لا عافاك الله (بوصل الكلام)، فقال أبو بكر: لا تقل هكذا، ولكن قل: لا وعافاك الله، ففرّق بهذا أبو بكر بين الدعاء عليه في قول الرجل، وبين الدعاء له في قوله، كما تنقل لنا كتب التراث أنّ الزبيدي سأل الكسائي بحضرة الرشيد فقال: انظر، في هذا الشعر عيب؟ وأنشده قول الشاعر:

ما رأينا خرباً نقر * * * عنه البيض صقر
لا يكون العيرُ مهراً * * * لا يكون المهرُ مهرُ

فقال الكسائي: قد أقوى⁽¹⁷⁾ الشاعر (يعني أنّه لحن)، فقال له الزبيدي: انظر فيه! فقال أقوى لا بدّ أن ينصب المهر الثاني على أنّه خير "كان" فضرب الزبيدي بقلنسوته الأرض وقال: أنا أبو محمد. الشعر صواب، وإنّما ابتداءً فقال:

¹⁵/ ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ص20.

¹⁶/ حسّان، د. تمام، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، ص227/228

¹⁷/ الإقواء من عيوب القافية و تعني اختلاف حركة حرف الروي في القصيدة.

المهْرُ مهْرٌ. وهنا أراد اليزيدي أن الشاعر يقف على قوله "لا يكون" الثانية على أنّها توكيد لفظي للأولى، ثمّ يتدّى بالإخبار: المهْر مهْر على أنّه مبتدأ وخبره.

خاتمة:

يجب أن تدرس الفنون البلاغية وفق المنهج التكاملي الذي يعني توحيد المناهج في العملية التعليمية التعلمية لأن من أهم مشكلات تعليم البلاغة أنه ما زالت تدرس بمعزل عن فروع اللغة الأخرى ولا نكاد نلمس لها أثرا وظيفيا في دروس القراءة أو المحفوظات أو التعبير أو الإملاء، أو في النصوص التي تدرس بعد فنون البلاغة فلا تستثمر هاته الفنون في استكناه جماليات النص، مما يسبب مشكلة عند المتعلم، فالتكاملية اللغوية خير طريق لممارسة البلاغة ويمكن أن تمارس بالتدريب على القراءة والتعبير وتذوق النصوص، وإعطاء أهمية لتنمية المهارات الأساسية، مع ضرورة ألا يكون هناك فصل بين فروع علوم العربية النحوية والبلاغة واللغوية والمعجمية والدلالية وحتى الصوتية مع « واحدة في جميع مناطق تعليم اللغة العربية، ولا في جميع مراحل تعليمها الزمنية»⁽¹⁸⁾، إضافة إلى ذلك لا بد من الطرق الحديثة في عرض المحتوى البلاغي لتقريبه من المتعلم، باستخدام التقنية والوسائل في التدريس، كاستخدام مثلا الحاسوب وإمكاناته المتنوعة (عرض الشرائح)، والرسومات البيانية، وخرائط المفاهيم والجداول لتوضيح الدرس وتسهيل تفرعات الموضوع ليسهل تصورها ذهنيا.

مصادر ومراجع الدراسة:

/ أبو الحسين أحمد بن فارس (ت 395هـ) ، مقاييس اللغة ، ج1 ، تح: عبد السلام هارون ، دار الكتب العلمية.

¹⁸/ فالخ شبيب العجمي، تطوير مقررات اللغة العربية في التعليم العام" ، ص586.

- ² /عز الدين التنوخي، تهذيب الإيضاح، ج4/3 ، (بهاشم الإيضاح للقزويني)، مط الجامعة السورية، دمشق، 1369هـ - 1950م .
- 3/ السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، 1383هـ ، 1963م .
- ⁴ / الأستاذ أحمد الشايب ، الأسلوب ، ط7 ، مط السعادة ، مصر ، 1396هـ ، 1976م .
- ⁵ / ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم)؛ لسان العرب؛ دار صادر؛ د ط؛ بيروت 1968.
- ⁶ / الفراهيديّ (الخليل بن أحمد)؛ كتاب العين، تحقيق د. مهدي الخزوميّ و د. إبراهيم السامرائيّ، دار الشؤون الثقافية، بغداد1984.
- 7/ عبد السلام السيد حامد، مشكلة تعليم النحو العربي .
- ⁸ / محمود أحمد السيد، تطوير مناهج تعليم القواعد النحوية.
- ⁹ / د/ عبد الفتاح البجة، أصول تدريس العربية. بين النظرية و الممارسة، المرحلة الأساسية الدنيا، دار الفكر، عمان 2000.
- 10/ طعيمة رشدي أحمد، مناع محمد السيد: تدريس العربية في التعليم العام.
- 1 /¹ اللغة العربية: المجلس الأعلى للغة العربية، مجلة فصلية، العدد الأول.
- 12/ حسّان، د. تمام، اللّغة العربيّة معناها ومبناها.
- 13/ سبيويه، عمرو بن عثمان، الكتاب (مؤسّسة الرّسالة)، ج1.
- 14/ ابن أبي ربيعة، عمر، الدّيان، المكتبة التّجاريّة، مصر، 1952م.
- 15/ ابن جنّيّ، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ج2.
- 16/ ابن هشام الأنصاريّ، مغني اللّبيب عن كتب الأعراب.
- 17/ فالخ شبيب العجمي، تطوير مقررات اللغة العربية في التعليم العام .
- 18/ إبراهيم حمادة، الاتجاهات المعاصرة في تدريس اللغة العربية واللغات الحية الأخرى لغير الناطقين بها، دار الفكر العربي.
- 19/الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، مختصر تلخيص المفتاح، الخطيب القزويني 739هـ، تح: لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، مطبعة السنة الحمديّة.
- 20/ ابن هشام الأنصاري، مغني اللّبيب عن كتب الأعراب، تح: عبد اللطيف محمد الخطيب، التراث العربي، الكويت، ط1/2002.
- 21/ أحمد نحلة، في البلاغة العربية، علم المعاني، محمود دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط1/1990.